

الأبناء... الأبناء... الأبناء*

الأولاد مسؤولية كبرى في أعناق آبائهم سوف يسألون عنها أمام الله سبحانه وتعالى وقد كان أسلافنا يولون تربية أبنائهم عناية خاصة، حتى إن القادرين منهم من الأغنياء والأمراء كانوا يستأجرون مربين لأبنائهم من الأدباء والعلماء حتى يعلموهم أكثر مما يعلمهم آبائهم، فتجد معلم أبناء المهدي، ومعلم أبناء الرشيد، ومعلم أبناء المأمون، وغير ذلك من الألقاب التي اشتهر بها بعض الأدباء في العصر العباسي وفي غيره، ومع الأسف الشديد أن هذه الظاهرة تكاد تختفي عند القادرين عليها اليوم، بل الأدهى من ذلك أن كثيراً منهم استعاضوا بالمربين الأجانب لأبنائهم، فالكبار القادرين يبحثون عن مربى خاص لأبنائهم لا يجيد حتى لغتنا الأصلية، وقد يختلف معنا في الدين، فكيف سيعيش ذلك الإنسان مستقبلاً في مجتمع جهله، أما عامة الناس فإن الخدمات والسائقين حلوا محل المؤدبين في التربية، بل وحلوا محل الآباء والأمهات في البيوت المشغولة بالتجارة للأب والوظيفة للأم، حتى بتنا نرى بعض الأولاد والبنات لا يفقهون شيئاً ولا يعرفون كيف

* نُشر هذا المقال بجريدة البلاد، الثلاثاء ٣ جمادى الآخرة ١٤١٤ هـ الموافق ١٦ نوفمبر ١٩٩٣ م، العدد (١٠٧٢٤).

يتعاملون مع الناس، فالكل في نظرهم مثل الخادمة أو الشغالة، أقول هذا الكلام بعد أن لاحظت أن بعض الأولاد يكون أحياناً في مجلس يضم كبار السن فيختار أحسن موقع في المجلس لا يحترم كبيراً ولا يوقره، وقد يعبث في التلفون أو التلفزيون أو محتويات المجلس الأخرى كما يشاء، وقد يقاطع أحاديث كبار السن لأتفه سبب ومما يحز في النفس أن ذلك قد يحدث في حضور من الأب الذي لا يحرك ساكناً، ونحن نرى هذه المظاهر وغيرها نتذكر كيف علمنا آباؤنا - جزاهم الله خيراً - أن لا نجلس في مكان يستحقه غيرنا من الضيوف أو كبار السن أو من على شاكلتهم، وكيف علمونا الإنصات والهدوء إذا تحدث كبار السن، فترى الشباب الذين لو تحدثوا لقالوا أفضل مما يسمعون أحياناً ينصتون احتراماً للكبار، وقد يبدأ المجلس وينفض دون أن ينبس أحدهم ببنت شفه.

وليس هذا التقصير على مستوى صغار السن فقط، بل أن ذلك على مستوى الشباب وتفقد أحوالهم، فقد كنت قبل ليال عائداً من زيارة لبعض الأقارب وقد قاربت الساعة الثانية عشر ليلاً، فإذا بي أفاجأ بجموع من الشباب تتجول في الشوارع بسياراتها، وقد لاحظت مجموعة من الشباب في سيارة فارغة تقف بجواري لم يتجاوزوا الرابعة عشر من أعمارهم، فتساءلت أين آباء هؤلاء؟

عنهم في هذه الساعة ألا يسألون عن أبنائهم؟ ألا يعلمون مكانهم وأين هم متجهون في مثل هذه الساعة من الليل؟، ثم يأتي الآباء بعد ذلك ليشتكوا من انحراف أبنائهم أو من تفشي المخدرات وأمثالها ويحاولون كثيراً البحث، لها عن علاج بينما كانت الوقاية بأيديهم وهي خير من ذلك بكثير، وأوفر وقتاً وجهداً ومالاً لو كانوا يعقلون، فأين آباء هؤلاء وأمثالهم أم أنهم بحاجة إلى من يربيهم قبل تربية أبنائهم، أم أن أبنائهم أيتام وهم أحياء ولله در الشاعر حين قال:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلفاء ذليلاً
إن اليتيم هو الذي تلقى له أمًا أو أبًا مشغولاً

أولا يتذكرون قول الرسول ﷺ: ((إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع)).^(١)

وقفة:

في معظم الأيام التي تجري فيها مباريات لكرة القدم نجد تصرفات غريبة وشاذة من بعض الشباب في سياراتهم مما يهدد حياتهم وحياة غيرهم، حتى أصبح الناس في مدينة الرياض

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، ج ١٠، ص ٣٤٤. النسائي في سننه، ج ٥، ص ٢٧٤. وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ج ١٣، ص ١٢٧.

يتواصلون بعدم الخروج من منازلهم بعد نهاية المباريات، ويضطر الكثير منهم إلى إلغاء مواعيدهم أو تغيير طرقهم حرصاً على سلامتهم، نظراً لما يشاهدونه من استهتار الشباب بكل إجراءات المرور والسلامة وهذه ظاهرة مزعجة حقاً، وقد حصدت أرواح بعض هؤلاء الشباب وغيرهم، والحوادث كثيرة في هذا المجال، وقد قامت وزارة الداخلية بإصدار البيانات تلو البيانات محذرة هؤلاء الشباب من العبث بالمرور، وطالبة منهم أن يكون الفرح بأساليب معقولة بعيدة عن الفوضى، كما بذلت الوزارة جهوداً كبيرة في محاولة ضبط الأمر بأجهزتها المختلفة من مرور وغيره، ونتمنى أن تفلح - بإذن الله - في الحد من هذه الظاهرة المزعجة حقاً، ولكن الذي يظهر لي أن التلفزيون لا يعبأ بهذا الأمر، فقد استغرب غيري قبل أيام، أنه ما أن انتهى مذيع التلفزيون من قرأته هذا البيان من وزارة الداخلية حتى أخذ يعرض صوراً لهؤلاء الشباب وهم في سياراتهم أخرجوا أجسامهم من فوق ومن جنب السيارات بطريقة غير معقولة ومخالفة لكل قواعد السير، ومخالفة جذرياً لما جاء في البيان الذي قرأه المذيع قبل لحظات عن هذه المظاهر مما أثار استغراب الكثيرين.

أعاننا الله جميعاً على تحمل المسؤولية ، ونسأله سبحانه أن لا
يكلنا إلى أعمالنا وأن يصلح لنا أبنائنا ويعيننا على ما يصلحهم ،
وهو وحده المستعان وعليه التكلان.

